

القناعة.. كنز الإيمان



«كلما تطور الزمن وقطع الإنسان شوطاً في التقدم إزدادت الحياة تعقيداً وتلاشت تلك البساطة التي ألفها الإنسان في حياته. فعندما كان الإنسان لا يفكر إلا في تلبية حاجاته الضرورية نراه الآن يطمح إلى امتلاك ما لا يحتاج إليه فيرسل نظره إلى أعلى كثيراً ويطلب ما ليس عادياً من أجل الحصول على المتعة.

- ما سر هذا التحول يا ترى؟

هل لأنّ الحياة قد تغيرت والإنسان رهين الظروف والزمن كما يدعي البعض، أو ان ذلك من مستلزمات وأسس السعادة في الحياة كما يحلو للبعض الآخر ان يقول.

قد تكون الحقيقة مخالفة لذلك فالعقل والمنطق السليم لا يقران بمثل هذه الأقاويل، وصدق الشاعر حين قال:

لكسرة من جريش البز تشبعني **** وجرعة من قراح الماء يرويني

وخرقة من غليظ الثوب تسترني **** حياً وان مت تكفيني لتكفيني!

لكن من أجل أن يبرر الإنسان ما يرتكبه من حماقات في هذا المجال تراه يخلق لنفسه الأعذار والحجج الواهية هذا ناتج من:

أ- سيطرة الماديات على المعنويات إلى درجة الذوبان فيها وعدم الاكتفاء بالميسور منها بل يصبح الإنسان - في أغلب الأحيان - أسير شهوته وعبداً لنفسه فيسعى جاهداً لتحقيق رغباته ومطامعه الدنيوية

دون التفكير في العاقبة الوخيمة التي سوف يؤول إليها نتيجة الإفراط في هذا الجانب على الجانب الآخر، فمن يسعى لتلبية حاجاته الجسدية فقط دون أن يعير نفسه أدنى إهتمام فإنَّه ولا شكَّ سوف يصاب بحالة من النهم الفطيع في حب المادة.

ب- مباحاة الآخرين وتقليدهم، فترى البعض يفتني كل ما يعجبه من لباس أو أثاث وتحف وكماليات منزلية حتى يتراءى للناظر أنَّه في وسط متحف لا منزل قد أعد للسكن والستر فقط، فالتحف والتماثيل والصور قد أخذت موقعها المناسب وغير المناسب في كل زاوية وكل ركن من أركان البيت، كل ذلك ليس لحاجة إليها وإنما للتباهي بها أمام الأقران والجيران والسعي وراء المتعة والسعادة الدنيوية ولكن هل تحصل السعادة؟ كلا، فإنَّى له والسعادة فهو كمن يشرب من ماء البحر كلما شرب منه إزداد عطشاً.

- نظرة الإسلام:

ورد في الدعاء "اللَّهُمَّ إمتعني من السرف وحصن رزقي من التلف" ان صرف الرزق في غير موره تلف له، سواء علم صاحبه بذلك أم لم يعلم، والإسلام يجنبنا من الوقوع في هذا المطب عبر عرض مفصل في آيات الذكر الحكيم للجنة ونعيمها والنار وجحيمها. وفي نفس الوقت حبب إلينا القناعة في هذه الدنيا.. "وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين" و"لا تمدن عينك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا".. فلقد حبب إلينا القناعة والبساطة التي لا تحرم الإنسان زينة الحياة وطيباتها بل تكون كالسياح المنيع الذي يحصن الإنسان من عبادة المادة فلا يجعلها هدفاً أساسياً له بل يكتفي بالموجود ويترك التشوق إلى المفقود، وقد قيل لأحد الحكماء هل وجدت شيئاً أحسن من الذهب؟ فقال: "نعم..إنما هو القناعة".►